(رحمة النبي صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله ربّ العالمين، خلقنا لعبادته ، وأمرنا بطاعته ، ووعدنا بجنته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله. أما بعد،

فلقد أظلنا شهر الأنوار والأفراح، شهر رفع الله قدره، وأعلى شأنه، إذ أبدى فيه للوجود نعمتَه السابغة، ورحمته الواسعة، سيد المرسلين، وإمام المتقين، سيدنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم)، إنه شهر ربيع الأول، ربيع القلوب الذي ولد فيه الحبيب المحبوب (عليه الصلاة والسلام) .

أيها المسلمون: لم يعرف التاريخ شخصًا مثل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وما تحدث الناس ولا كتب الكتَّابُ عن أحد مثل ما كتبوا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فلقد تحدث العلماء والمحبون عن كل جوانب شخصية الشريفة، فتحدثوا وكتبوا كل صغيرة وكبيرة في حياته قبل البعثة وبعدها، وعن أوصافه الخَلْقية والخُلُقية، وعن معجزاته، وعن شمائله، حتى بلغ عدد الكتب التي ألفت عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نحو ألفين وأربعمائة وثمانية وثمانين كتابًا.

ومن جوانب العظمة التي تحدثوا وكتبوا عنها في شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم): خلق الرحمة، فهو نبي الرحمة كما قال ذلك بنفسه عن نفسه، فَقالَ(عليه الصلاة والسلام): " **أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ** "[صحيح مسلم] وقال(عليه الصلاة والسلام): " **أيُّها النَّاسُ إنَّما أنا رحمةٌ مُهداةٌ** " [مستدرك الحاكم] .

والرحمة تعني: إرادة إيصال الخير للغير، وهي رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، والرحمة بذل المعروف لمن هو في حاجة إليه. ورحمة النبي (صلى الله عليه وسلم) كانت تفوق كلَّ هذه المعاني وأكثر، ولها خصائص تفوق كل رحمة عرفها البشر، ومن خصائص رحمته (صلى الله عليه وسلم):

أولًا: أنها رحمة ربَّانية:

فمن أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى: (الرحمن الرحيم)، وقد افتتحت سور القرآن بـ **(بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)** وقال الله عن نفسه جلَّ جلاله: " **نَبِّئ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ**" [الحجر: 49]، وقال سبحانه عن رحمته: " **وَرَحمَتِي وَسِعَت كُلَّ شَيءٍ** " [الأعراف: 156].

وكان النبي(صلى الله عليه وسلم) رحيمًا شديد الرحمة بالخلق، حتى زكاه ربه وأثنى عليه، فقال سبحانه: " **لَقَد جَآءَكُم رَسُول مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِٱلمُؤمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم** " **[التوبة:128]**، فهذه الرحمة نسبت للنبي (صلى الله عليه وسلم) وشهد له ربه – الرحمن الرحيم– بها، فهي رحمة ربانية.

ثانيًا: رحمة عالمية:

قال الله تبارك وتعالى: " **وَمَآ أَرسَلنَٰكَ إِلَّا رَحمَة لِّلعَٰلَمِينَ**" [الأنبياء: 107]، أيَّ: أنت رحمة شاملة وعامة وعالمية، وليست رحمة خاصة تقوم على الأعراق أو الألوان أو المذاهب، بل رحمته (صلى الله عليه وسلم) عالمية: شملت المسلم وغير المسلم، والمؤمن والمنافق، والعربي وغير العربي، والكبير والصغير، والرجل والمرأة، بل شملت رحمته الحيوان والجماد.

ثالثا: رحمة وسطية:

فمن خصائص رحمته (صلى الله عليه وسلم) أنها رحمة متزنة وعادلة، فقد كان النبي الكريم (عليه الصلاة والسلام) رحيمًا دون ضعف، حازمًا من غير عنف، رحيما في مواطن الرحمة، قويًا شجاعًا حازمًا في مواطن القوة، فمن رحمته أنه كان يخفف الصلاة إذا سمع بكاء صبي، رحمة بالصبي حتى لا يطول بكاؤه، رحمة بالأم الملهوفة على صبيها الباكي.

ومن شجاعته وقوته يوم فزع أهل المدينة ليلة لما سمعوا صوتًا قويًّا، فخرجوا متوجهين ناحية الصوت، فتلقاهم النبي (عليه الصلاة والسلام) راجعًا قد استكشف الخبر راكبا على فرسٍ بغير سرْجٍ متقلدًا سيفه في عنقه، فقال لهم مهدئًا: **(لم تراعوا لم تراعوا)** يعنى: لا تخافوا.

ويقول عنه سيدنا على بن أبي طالب (رضي الله عنه): " **كُنَّا إذا احمرَّ البأسُ ، ولَقيَ القومُ القومَ، اتَّقَيْنا برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فما يكونُ منَّا أحَدٌ أَدْنى منَ القومِ منه** " [سنن النسائي الكبرى].

فما أحوجنا إلى التخلق بخلق الرحمة وأن نقتدي برسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا الخلق العظيم، لأن الرحمة لها منافع عظيمة تعود على الإنسان في الدنيا والآخرة، ومنها:

1- الرحمة تؤلف وتوحد وتقوي المجتمع المسلم وتصلحه، فقد أثنى الله تعالى على رسوله الأمين (عليه الصلاة والسلام) وصحابته الكرام (رضي الله عنهم) فوصفهم بالتراحم بينهم، فقال: " **مُّحَمَّد رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَينَهُم تَرَىٰهُم رُكَّعا سُجَّدا** " [الفتح: 29]، وقدَّم الله تعالى هنا الوصف بالتراحم على الوصف بالركوع والسجود؛ ليبين للإمة أنه بالرحمة يقوى المجتمع وينصلح حال الناس كما حصل في مجتمع المدينة المنورة على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم).

وبالرحمة تهيئ الأجواء للركوع والسجود والعبادة، ولا خير في أناس يركعون ويسجدون، فاذا خرجوا من مساجدهم تشاحنوا وتظالموا ولم يتراحموا، وأكلوا حقوق بعضهم واعتدوا على بعض، فمن يفعل ذلك لم يستفد من صلاته شيئا، وليس على طريقه سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) وصحابته الكرام (رضي الله عنهم)، ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وسلم):" **ليسَ مِنَّا من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنا ويَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرَنا** "[سنن الترمذي] .

2- الرحمة سبب لنيل رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):" **لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ** " . [صحيح البخاري]

3- الرحمة سبب لدخول الجنة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " **والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنَّةَ حتى تَراحَمُوا** " قالوا: يا رسولَ الله، كلُّنا رحيمٌ، قال: "**إنه ليس برحمةِ أحدِكم** – خاصته –، **ولكن رحمةُ العامَّة، رحمةُ العامَّة**). [مستدرك الحاكم]

نسأل الله أن يرحمنا برحمته التي وسعت كل شيء، وأن يرحم أهل فلسطين وغزة رحمة تغنيهم عن رحمة من سواه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: فضيلة الشيخ/ **رمضان شحاتة محمود**– مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.